الهم ويسكن اليه البري ويانس به الضعيف فليس لخايف راحة ولا لحاذر
طمانينة وقد قال بعض الحكما الامن اهنى عيش والعدل اقوى جيش ولان الخوف
يقبض الناس عن مصالحهم ويحجزهم عن تصرفهم ويكفهم عن اسباب المواد التي بها
قوام اودهم وانتظام جملتهم ولين كان الامن من نتايج العدل والجور من نتايج
ماليس بعدل فقد يكون الجور تارة بمقاصد الادميين الخارجة عن العدل وتارة
يكون باسباب حادثة من غير مقاصد الادميين فلا تكون خارجة عن العدل فمن
اجل ذلك لم يكن ما سبق من حال العدل مقنعا عن ان يكون الامن في انتظام الدنيا
قاعدة كالعدل فاذا كان كذلك فالامن المطلق ما عم والخوف قد يتنوع تارة ويعم
فتنوعه بان يكون تارة على النفس وتارة على الاهل وتارة على المال وعمومه ان يستوعب
جميع الاحوال فلكل واحد من انواعه حظ من الوهن ونصيب من الحزن وقد يختلف
باختلاف اسبابه ويتفاضل بتباين جهاته ويكون بحسب اختلاف الرغبة فيما
خيف عليه فمن اجل ذلك لم يجز ان نصف حال كل واحد من انواعه بمقدار من الوهن
ونصيب من الحزن ولاسيما فالخايف على الشي مختص الهم به منصرف الفكر عن غيره
فهو يظن ان لا خوف الا اياه ويغفل عن قدر النعمة بالامن فيما سواه فصار كالمريض
الذي هو بمرضه متشاغل وعما سواه غافل ولعل ما صرف عنه اعظم مما بلي به وانما يوكل
بالادنى وان جل ما مضى حكي ان رجلا قال لاعرابي حاضر ما اشد وجع الضرس فقال
الاعرابي كل داء لاشد داء وكذلك من عزه الامن لمن استولت عليه العافية فهو لا يعرف
قدر النعمة بامنه حتى يخاف كما لا يعرف المعافي قدر النعمة بعافيته حتى يصاب
وقد قال بعض الحكما انما يعرف قدر النعمة عند مقاساة ضدها واخذه كذا ابو تمام فقال
شعر والحادثات وان اصابك بوسها فهو الذي انباك كيف نعيمها
فالاولى بالعاقل ان يتذكر عند مرضه وخوفه قدر النعمة فيما سوى ذلك من عافيته
وامنه وما انصرف عنه مما هو اشد من مرضه وخوفه ليستبدل بالشكوى شكرا وبالجزع
صبرا فيكون مسرورا فرحا وحكي ان يعقوب عليه السلام قال ليوسف عليه السلام

حين لقيه اي شي كان خبرك بعدي قال لا تسالني عما فعل بي اخوتي سلني عما صنع بي ربي
قال الشاعر لا تنس في الصحة ايام السقم فان عقبى تارك الحزن الندم
واما القاعدة الخامسة فهي خصب دار تتسع به الاحوال ويشترك فيه ذوا
الاكثار والاقلال فيقل في الناس الحسد وينتفي عنهم تباغض العدم وتتسع
النفوس في التوسع ويكثر المواساة والتواصل وذلك من اقوى الدواعي في صلاح
الدنيا وانتظام احوالها ولان الخصب يول الى الغنا والغنا يحدث الامانة والسخاء
كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري لا تستقضين الا ذا حسب
ومال فان ذا الحسب يخاف العواقب وذا المال لا يرغب في مال غيره وقال بعض السلف
اني وجدت خير الدنيا والاخرة في خصلتين فخير الدنيا والاخره في التقى والغنى
وشر الدنيا والاخرة في الفجور والفقر وقال بعض الشعرا
ولم ار بعد الدين خيرا من الغنى ولم ار بعد الكفر شرا من الفقر
وبحسب الغنى يكون اقلال البخيل واعطاوه واكثار الجواد وسخاوه كما قال دعبل شعر
لين كنت لا تولي يدا دون امرة فلست بمول نايلا اخر الدهر
واي انا لم يفض عند ملية واي بخيل لم ينل ساعد الوفر
واذا كان الخصب يحدث من اسباب الصلاح ما وصفت كان الجدب يحدث من
اسباب الفساد ما ضادها وكما ان صلاح الخصب عام كذلك فساد الجدب عام
وما عم به من الصلاح ان وجد وعم به من الفساد ان فقد فاحرى ان يكون من
قواعد الصلاح ودواعي الاستقامة والخصب يكون من وجهين خصب في المكاسب
وخصب في المواد فاما خصب المكاسب فقد يتفرع من خصب المواد واما خصب
المواد فقد يتفرع عن الاسباب الالهية وهو من نتايج العدل المقترن بها واما
القاعدة السادسة فهي امل فسيح يبعث على اقتنا ما يقصر العمر عن استيعابه
ويحث على انشا ما ليس يوثق في دركه بحياة اربابه ولولا ان الثاني يرتفق بما انشاه
الاول حتى يصير به مستغنيا لافتقر اهل كل عصر الى انشا ما يحتاجون اليه من منازل

Copyright © King Saud University